

1. مقدمة

يجب يثير توظيف الخلفية النظرية في البحث العلمي العديد من التساؤلات التي يمكن تلمس بعضها في مراحل مختلفة من البحث، فتبدأ عادة في مرحلة تحديد وصياغة الإشكالية، سيما من خلال البحث عن إطار أو مرجعية نظرية مناسبة لمعالجة مشكلة البحث. وتنتهي بتقديم البحث للإجازة العلمية سواء في المناقشات العلمية أو عمليات التحكيم والتي قد تسجل ملاحظات أو تحفظات على توظيف نظرية معينة أو كفاءات توظيفها وإسقاطها في البحث أو ملاحظات أخرى ذات الصلة. وبين المرحلتين، إجراءات أخرى قد تستدعي هي الأخرى الاشتغال على الخلفية النظرية للاستفادة من منهجها وأدواتها وموجهاتها في التحليل واستخلاص النتائج ومناقشتها.

وبالرغم من بعض السلبيات البحثية التي يمكن استشعارها أثناء الاعتماد على نظرية معينة في البحث إلا أنه وإلى وقت قريب -حسب ملاحظتنا- لم تكن الإشكاليات المتعلقة بتوظيف نظرية أو براديجم تتعدى ثلاث نقاط محورية تشمل: تبرير اختيار النظرية ومدى ملاءمتها للبحث، توظيف وإسقاط النظرية فعلا في البحث، وأخيرا مدى الاستفادة من النظرية في تحليل البيانات واستخلاص ومناقشة النتائج.

لكن مؤخرا، يبدو أن النقاش تعدى مسألة اختيار النظرية وكفاءات توظيفها إلى صحة وأحقية توظيفها من عدمه، فالسؤال الذي يتكرر في العديد من المناسبات العلمية: هل يمكن الاستغناء عن النظرية في إجراء البحث؟ والبعض يطرح هذا السؤال بشكل مغاير: هل أنا ملزم بالاعتماد على نظرية؟

إن هذا السؤال، بدأ -حسب ملاحظتنا- يكتسب "شرعية أكبر" في السنوات الأخيرة للعديد من الأسباب، بعضها موضوعي يرتبط خصوصا بالنمو المتسارع الذي عرفته بعض التخصصات وعدم مواكبة النظريات المتاحة بالسرعة اللازمة وعلى النحو الكاف للتحويلات التي يتعامل معها الباحثين، وبعضها الآخر ذاتي يرتبط على سبيل المثال لا الحصر بمدى تحكم الباحثين بالنظريات وقدرتهم على الربط بين الخلفيات النظرية المتاحة والتحويلات الحاصلة، فضلا عن اعتبارات أخرى عديدة موضوعية وذاتية تتباين من تخصص الآخر. وبغض النظر عن شرعية التساؤل عن استخدام الخلفية النظرية من عدمه، فإن التساؤل في حد ذاته يعبر عن حاجة منهجية ومعرفية للإجابة عليه، خصوصا وأن صيغة السؤالين السابقين (هل أنا ملزم بالاعتماد على نظرية؟ وهل يمكن الاستغناء عن النظرية؟) تعبر ضمنا عن "الإكراه" الذي يستشعره عدد من الباحثين، فكأن الباحث "مجبور" على القيام بإضافة هذا المعطى في البحث لإجازته أو على الأقل لتفادي النقد وفوق ذلك عدم الوعي الكافي-على ما يبدو- بأهمية الخلفية النظرية في البحث العلمي. وعليه نتساءل:

هل يمكن فعلا الاستغناء عن الخلفية النظرية في البحث؟ وما جدوى من الاعتماد عليها؟ وما هي الأسباب التي قد تدفع الباحثين إلى تبني مواقف "متكئة" تجاه استخدام خلفيات نظرية في البحث؟

لكن قبل محاولة الإجابة على هذا التساؤل المركب، يبدو من المفيد محاولة تبسيط معنى الخلفية النظرية وموقعة بحثنا مفاهيميا.

2. الخلفية النظرية: محاولة للتبسيط والتموقع المفاهيمي

يمكن إحصاء العديد من المصطلحات والمفاهيم المتشابهة معرفيا ودلاليا الشائعة الاستخدام في إطار البحوث العلمية على غرار "المدخل النظري"، "المقاربة النظرية"، "المقرب النظري"، "النظرية"، "النموذج الإرشادي"، "البراديجم"، "الإطار النظري".

وليس الهدف من هذا المقال إزالة التداخل والتشابه المفاهيمي الموجود بين هذه المسميات والتوصيفات، لذلك اعتمدنا تسمية من شأنها أن تشمل كل المسميات السابقة، ففي منظور هذا المقال فإن الخلفية

النظرية تعني عودة الباحث إلى الخلف للاستعانة بما هو موجود من أطر، نظريات وتراكمات علمية حول الإشكالية التي يعترى البحث فيها أو التساؤل الذي يطرحه.

فبالنظر إلى كون البحث العلمي يمتاز بصفة التراكمية (زكريا، 1978، صفحة 15) التي تقوم على عمليتي "إضافة الجديد للقديم أو تقديم بديل للقديم" (الخياط، 2010، صفحة 20)، فإن الباحث لا ينطلق في كل الأحوال من العدم تحقيقاً لمتطلبات الأصالة التي تعد أحد أهم مقومات اختيار المشكلة (محجوب، 2016، صفحة 63) وأحد أسس البحث العلمي ككل (باشيوة، السمرائي، و البراوري، 2010، صفحة 131)، فضلاً عن الاستفادة مما تتيحه التراكمية من ترشيد للوقت والجهد للموارد.

وتبعاً للتراكم العلمي تتأتى الخيارات المتاحة أمام الباحث، فلمعالجة بعض الإشكاليات والظواهر البحثية يجد الباحث أمامه عدداً من المداخل على غرار المدخلين النفسي والاجتماعي مثلاً، فنفس الظاهرة والإشكالية يمكن معالجتها بحثياً وفق مدخلين متباينين مدخل يركز على الفرد وينطلق من نفسيته وشعوره الداخلي وميولاته... ومدخل آخر يعالج الإشكال المطروح وفق مدخل آخر اجتماعي يركز على الجماعة، خصوصياتها، العلاقات والمؤسسات الاجتماعية...

ولا ينبغي أن يفهم أن المدخل رديف التخصص، ففي نفس التخصص قد نعتمد على مداخل متباينة على غرار علوم الإعلام والاتصال والتي في خضم سعيها لفهم التأثير اعتمدت على المدخلين النفسي والاجتماعي. صحيح أن علوم الإعلام والاتصال عادة ما تعرف على أنها علوم التقائية تلتقي فيها العديد من العلوم والتخصصات. لكن في الأصل كل العلوم التقائية، فما هو بارز أنه التقائي هو غالباً من ظهر في الأخير واتضح أخذه واستفادته من التخصصات الأخرى. أيضاً نقدر أن الفصل بين العلوم هو فصل إجرائي "براغماتي" لتسهيل الاطلاع على المعارف والتعمق في البحث والفهم لكن فعليا العلم تكاملي وشامل وحتى مصدره الأول واحد وفق التوصيف الديني على غرار ما هو عليه الحال عند المسلمين كما نستشفه من الآية الكريمة "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" (سورة البقرة، الآية 31)، وحتى الغربيين -الذين يفصلون الدين عن العلم- ينسبون المعرفة إلى فلاسفة وأسماء تعد مرجعاً مشتركاً في العديد من التخصصات والعلوم على غرار أرسطو مثلاً والذي ترجمت أعماله ونشرت، فنجدته في السياسة (Aristote, Politique, 2019)، الاقتصاد (Aristote, Economiques, 2004)، الأرصاد الجوية (Aristote, Méthéorologie, 1863)، البلاغة (Aristote, Rhétorique, 2007)، الشعر (Aristote, Poétique, 1958)، الفيزياء (Aristote, Physique, 1861)، تاريخ الحيوانات (Aristote, Histoire des animaux, 1883) والعديد من المساهمات المرجعية في الفلسفة والمجتمع وغيرهما.

فالإشكالية والظاهرة محل البحث هي واحدة في أصلها لكن البحث يحتاج لمدخل يسمح للباحث أن يلج من خلاله للبحث. وقد يكون المدخل واحداً كما قد تتعدد المداخل في إطار ما تدعوله المتطلبات البحثية المعاصرة من تكاملية أصبحت تفرز فرقا مختلفة وبحثاً مختلطاً يندرج ضمن ما يعرف بالبحث المتعدد التخصصات (Multidisciplinary) أو البحث العابر للتخصص (transdisciplinary)، وذلك لعجز النظرة التخصصية الواحدة على تقديم إجابات شاملة وكافية في الغالب. فالجمع بين التخصصات هو عملياً جمع مداخلها المتعددة بغية تحقيق نظرة أشمل وأكثر موضوعية وتحكم ومعالجة لما يمكن تسميته بـ"عظمة التخصص"، فبحكم التكوين المتخصص، كل تخصص يدافع عن دوره وأهميته وأفرز مساهمات جزئية ونظرة أقل شمولية.

بعد اختيار المدخل أو المداخل أي موضع الدخول كما ورد تعرف الكلمة في اللغة العربية (معجم المعاني الجامع، 2022)، يبدو من الضروري إيجاد السبل الكفيلة للاقترب من موضوع البحث، وهو ما يقودنا إلى ما يعرف عادة بالمقاربة النظرية، بالمقاربة في أبسط معانيها هي الطريقة الأمثل للاقترب من موضوع البحث والتي

تساعد في معالجة إشكالية البحث أو الظاهرة محل الدراسة، ففي المدخل الاجتماعي مثلا نجد العديد من المقاربات التي هيكلت البحث على غرار المقاربتين الوظيفية والبنائية.

من الواضح بالتالي أن المقاربة تساعد الباحث في أن يدنو من موضوع بحثه (معجم المعاني الجامع، تعريف ومعنى مقارنة، 2022) ومقارنته معرفيا ومنهجيا، لذلك تميل بعض التسميات لإطلاق اسم المقرب النظري مع التباين اللغوي بين اللفظتين، فالمقرب يفيد بـ"جهوزية" طريقة الاقتراب وإمكانية الاستفادة والتوظيف الآلي لها، والمقاربة أقرب للتعبير عن فعل مشاركة الباحث في الاقتراب، بناء وتكييف موضوع البحث وإجراءاته ليتماشى مع التصور النظري.

وبالتأكيد فإن للمقاربة والمقرب أهمية بارزة في البحث، فبفضل المقاربة الوظيفية مثلا ازدهرت الكثير من البحوث واستطاع البحث تقديم إجابات لعدد كثير من الأسئلة، وبفضل هذه الطريقة في الاقتراب من البحث تشكل البرادغيمات التي تعد عبارة عن مجموعة متماسكة من العناصر المعرفية والنظرية والمفاهيمية التي تعمل كإطار مرجعي لمجتمع الباحثين في فرع من العلوم (Mucchielli, 1995, pp. 11-14)، فالبرادغيم هو نموذج إرشادي جاء لتلبية حاجة حيوية لدى الباحثين بحيث تساعدهم في أجرأة التصورات النظرية عبر إرشادهم إلى إتباع نموذج يتناسب مع التصور النظري المقترح للاقتراب من موضوع البحث، إنه تعبير عن عملية النزول بالمفاهيم والتصورات إلى مستوى أكثر قابلية للتنفيذ الإجرائي، فيقترح النموذج الإرشادي طريقة معنية في فهم وتصنيف العلاقة بين متغيرين أو أكثر.

ومن مخرجات البرادغيم قد تتبلور نظرية أو نظريات تكون ترسيخا لمجموعة من الاعتقادات والقيم المعترف بها والتقنيات المشتركة لمجموعة بحث متميزة وفق توصيف "كوهن" (KUHN, 1972, p. 207) غرار ما هو عليه الحال بالنسبة للبرادغيم الوظيفي الذي أفرز النظرية الوظيفية. كما قد تظهر نظريات أخرى تتفرع عن التصور الكلي للبرادغيم لإنتاج نظريات أخرى بعضها مستلهم من البرادغيم في حد ذاته وبعضها الآخر من مخرجاته النظرية على غرار البرادغيم الوظيفي الذي أسس لظهور نظريات الاستخدامات والاشباعات في علوم الإعلام والاتصال وأيضا لظهور النظرية الوظيفية بل والنظريات الوظيفية كون العديد من الشعب والتخصصات العلمية كيفت التصور الكلي للنظرية الوظيفية مع خصوصياتها البحثية، فنجد بذلك النظرية الوظيفية على سبيل الاستشهاد لا الحصر في علم الاجتماع، العلوم السياسية، الاقتصاد وغيرها من التخصصات الأخرى.

وعليه تميل عدد من المساهمات النظرية إلى تصنيف النظريات وفق البرادغيمات الهيكلية لها على غرار التقسيم الشائع في علوم الإعلام والاتصال الذي يحدد خمس برادغيمات تندرج ضمنها مجموعة من النظريات، وهي: البرادغيم السلوكي (نظرية الحقنة تحت الجلد)، البرادغيم الوظيفي (نظرية الاستخدامات والاشباعات)، البرادغيم السيبرناتيقي (النظرية الرياضية)، البرادغيم النقدي (النظرية النقدية) و البرادغيم التفسيري (التفاعلية الرمزية).

لكن النظرية بصفة عامة ليست بالضرورة جزء من برادغيم، فالنظرية على حد تعريف "ميرتون" مفاهيم مترابطة منطقيا (Willett, 1996)، إنها طريقة لتصور وإدراك الحقائق، فهي تسمح بتحديد، وصف، فهم، شرح، تمثيل والتنبؤ بظاهرة محددة أو مجموعة من العلاقات المتصلة بها بعدما تم التحقق من عدد من الفرضيات، إنها تسمح أيضا بطرح عدد من الأسئلة الجديدة وهيكلية الملاحظات والحكم على الواقع (Willett, 1996).

وعليه يوجد العديد من النظريات في مختلف التخصصات التي تطورت وظهرت بمنأى عن برادغيم محدد ولو أن بعض المساهمات العلمية تدرجها تحت تصنيفات أخرى لبرادغيمات ونماذج تصورية نظرية لا نرى

حاجة لإيرادها، فالهدف مرة أخرى من هذا العنصر هو محاولة التموّج مفاهيميا وتبسيط مقصودنا بالخلفية النظرية التي تشمل المدخل، المقاربة، المقرب، البراديجم، النظرية وأيضاً الإطار والنموذج كما سبق الإشارة في التعريف الإجرائي الذي نتبناه في هذا البحث.

ينبغي الإشارة إلى أن ما ورد في هذا العنصر لا يلغي الإشكاليات المفاهيمية والتشابك المعرفي الموجود بل هو محاولة لتجاوزها وتبسيط المقصود من تبني مصطلح الخلفية النظرية، فكما يذكر "بانج" "لكي ندفع بالبحث قدما فإنه من الضروري أن ندخل في الموضوع أو حتى نتحصن ببعض المعارف (الارامي وفالي، 2009، صفحة 14)، فالخلفية النظرية تعني أن الباحث لا ينطلق من "بحر بلا شاطئ"، وإنما من مرجعية وسند علمي، وهو ما يحيلنا للتساؤل عن إلزامية استخدام الخلفية النظرية في البحوث العلمية.

iii. استخدام الخلفية النظرية في البحوث العلمية: محاولة لمناقشة مبررات الترك

إن استخدام الخلفية النظرية في البحوث العلمية من عدمه يستند على عدد من الأفكار والآراء، فالشائع في البحث العلمي الاعتماد على خلفية نظرية، لكن هناك رأي مقابل يميل إلى التخلي عن استخدام الخلفية النظرية في البحوث العلمية سيما في بعض التخصصات. وفي تقديرنا، يمكن تقسيم أسباب ومبررات التخلي عن الخلفية النظرية في البحث إلى نوعين:

أسباب ذاتية: ترتبط أساساً بالباحث وتتعلق على وجه الخصوص بمدى تحكّمه في النظريات ومنهجية البحث، فضلاً عن القناعات والآراء الشخصية التي تشكلت لديه مع تجربة البحث.

أسباب موضوعية: تتعدى الباحث إلى مجموع الأسباب الخارجة عن إرادته والتي تحول دون قدرته على توظيف خلفية نظرية معينة، ومن ذلك عدم إيجاد خلفية نظرية مساعدة تتماشى مع إشكالية بحثه سيما في ظل سرعة تطور بعض التخصصات وتأخر إنتاج وتشكل نظريات تغطي التطورات الحاصلة بها.

بمعنى آخر، يبدو من الضروري معالجة إشكالية توظيف الخلفية النظرية من عدمه في البحث على مستويين مختلفين؛

مستوى أول له طبيعة بيداغوجية أساساً، ويرتبط هذا المستوى من التحليل بعدد من الإشكاليات البيداغوجية التي بات لها تأثيراً ملموساً على البحث العلمي، فضعف التكوين في النظريات أو على الأقل عدم كفايته أثر سلباً على استخدام النظريات في البحث وضعف الأفق النظري والتصوري لدى العديد من الباحثين.

وفي هذا الإطار يمكن أن نلاحظ "التيه"، "التردد" وحتى "العجز" الذي يعاني منه بعض الباحثين في التعامل مع الخلفيات النظرية المتاحة. فجراء ضعف التكوين في النظريات، يجد عدد من الباحثين صعوبات جمة في معرفة النظرية المناسبة للبحث، أو تحديد النظرية الممكن الاعتماد عليها وتوظيفها وأيضاً كيفية الاستفادة منها فعلياً في البحث، في حين يعجز البعض حتى عن اختيار نظرية، فيطلب من المشرف أو زملائه أو أساتذته في التخصص اختيار نظرية لبحثه. وقد يستمر هذا "التيه" و"التردد" إلى مراحل نهائية من البحث بل وحتى إلى غاية الانتهاء من البحث نقف على أخطاء ونقائص يمكن وصفها بـ "المخلّة" في بعض الأبحاث.

ويمكن في هذا الصدد إيراد عدد من الأمثلة على سبيل الاستشهاد دون استعراض النماذج احتراماً وتقديراً للعلم وأهله، فالهدف الاستفادة من بعض الأخطاء التي قد تقع فيها وليس الإساءة للبحث أو الباحثين. ففي مجال علوم الإعلام والاتصال، ومن الأخطاء البارزة التي وقفنا عليها في استخدام الخلفية النظرية:

- اعتماد بعض البحوث على نظريات دراسة الجمهور في تحليل المحتوى الإعلامي.
- اعتماد بعض أبحاث القائم بالاتصال على نظريات دراسة الجمهور.

- اعتماد بعض بحوث دراسات الجمهور على نظرية القائم بالاتصال.
- عدم التناسق والانسجام بين فرضيات البحث وافتراضات النظرية.

فضلا عن العديد من النقائص الأخرى كعدم استخدام العدة المفاهيمية الصحيحة أو الاستفادة من التصورات المنهجية والمعرفية للنظريات أثناء النقل، التوظيف والتحليل.

إن التدريس النظري المحض للنظريات بات يؤثر سلبا على حسن استخدامها بل واستخدامها، فقلة المعرفة بالنظريات بات يمثل ما يمكن وصفه بـ"العائق الأبيستيمولوجي" الذي ينفر الباحثين نتيجة الصعوبات التي يواجهونها في توظيفها وإسقاط افتراضاتها والتحكم في عدتها المفاهيمية وحدودها المعرفية، لذلك أخذت محاولات التخلي عن استخدام النظرية تتجلى بشكل متزايد.

إن هذا المعطى الموضوعي يكتسب ذاتيته من تباين مستويات الباحثين، فرغم تقارب كفاءات التدريس تتباين المستويات بين متحكم جيد في النظريات لتتدرج إلى أقلهم تحكما ومعرفة بها، ذلك أن الباحث في أصله- يبحث واكتسب وصفه وتسميته من هذا الفعل ولا يجب أن يكتفي بما تلقاه من معارف ومعلومات عن نظرية أو نظريات أو ما تلقاه من معلومات قاعدية عن تخصص معين، فالمعارف تتجدد، المعلومات تحين والنظريات تتطور، وينبغي بالتالي على الباحث الحرص على مواكبة مستجدات تخصصه أو الاستعانة بمن يساعده ويوجهه في ذلك.

ويضاف إلى ضعف التحكم في النظريات عدم التحكم الكافي في منهجية البحث، وهو الأمر الذي يفاقم مشكلة توظيف النظريات إلى إشكاليات أخرى ذات الصلة وهي كيفية توظيفها والتبعات الإجرائية لذلك في تصميم، بناء وتجسيد البحث.

أما المستوى الثاني من إشكالية توظيف الخلفية النظرية، فهو ذا طبيعة موضوعية و"نخبوية" أساسا، وهو ما نحاول هيكلته في بضع نقاط محورية:

1- عدم ملائمة النظريات لواقع البحث وأهدافه

يطرح العديد من الباحثين إشكالية عدم ملائمة النظريات المتاحة دائما لواقع البحث وعدم تماشيها مع الأهداف التي يصبو لتحقيقها الباحث، فبعض التخصصات وخصوصا بالنظر لتسارع الأبحاث والتطورات التي تعرفها قد تتأخر في بلورة نظريات يمكن الاستناد عليها في إجراء بحوث ودراسات.

إن هذا المبرر رغم "قوته الظاهرية" مردود عليه في تقديرنا، فكل النظريات شكلتها البحوث، فالنظرية هي في أصلها محصلة مجموعة من الأبحاث، بمعنى أنه وفي كل مرة يمكن للباحثين إنكار وجود النظرية والإقرار أن بحوثهم هي التي شكلت النظرية، وبحوثهم في واقع الأمر استندت على نظريات أو براديجم أو مدخل معين، فمن الصعب الإقرار بوجود نظرية لم "تولد من رحم" أخرى، وحتى النظريات "الثورية" قامت على الاستفادة من نظريات سابقة، وهو ما ذهب إليه "كوهين" في مؤلفته "الشهير" الموسوم "بنية الثورات العلمية" المنشور في 1962 (Kuhn, 1962)، وأبرزه أيضا العديد من الباحثين.

وحتى النظرية المجذرة (grounded theory) التي حاولت تجاوز استخدام الخلفية النظرية والإشكاليات المتصلة بها، فهي تُستخدم عندما لا تكون النظرية قادرة على فهم وتفسير سيرورة بحثية (Groen, Simmons, & McNair, 2017) ولم تلغ النظرية بل تسعى لتوليد نظريات (Noble & Mitchell, 2016, p. 34) من خلال جمع البيانات وتحليلها بغرض تطوير نظريات وفرضيات ثم قراءة الأدبيات النظرية لتفسير النتائج (محمود، 2018، صفحة 93).

ومعلوم في هذا الصدد أن هذه النظرية موجهة للمهتمين ببناء نظرية بالاعتماد على الأسلوب الاستقرائي من خلال التحليل النوعي للبيانات كما جاء في تمهيد كتاب "أنسلم ستراوس" (أحد مؤسسي

النظرية) بالاشتراك مع "جوليت كوربن" (ستراوس و كوربن، 1999، صفحة 5). فهدف النظرية المجذرة ليس نكر النظرية -كونها هي في حد ذاتها تستند على نظريات- بل تجاوز مشكلات عملية قد تواجه الباحثين على غرار معرفة كيفية فهم البيانات، كيفية الحصول على تفسير نظري في ظل التأسيس لفهم واقع تجريبي، كيفية تقديم تفسيرات تخضع لإجراءات الصدق والثبات..، لذلك تقترح النظرية المجذرة أن يبدأ الباحث بجمع البيانات ولا يعني ذلك عدم وجود موجبات وإجراءات سابقة للبحث على غرار تساؤل أو عبارة تحدد الظاهرة أو إمكانية الاستفادة من الأدبيات المتخصصة في توجيه التساؤل (ستراوس و كوربن، 1999، صفحة 5 و36 و40).

2- نوع الدراسة وطبيعتها تستوجب التخلي عن الخلفية النظرية

تطرح مسألة عدم الحاجة للخلفية النظرية في الدراسات الوصفية والدراسات ذات الطبيعة التقنية بنوع من الإلحاح. وتجد هذه الأفكار قوتها من خصوصية الدراسات الوصفية التي يقوم جزء منها على عدم استخدام الفروض، وما دام لا نستخدم الفروض فلا حاجة بالتالي -حسب هذا الطرح- للاعتماد على فروض نظرية سابقة، بمعنى آخر لا حاجة لاسناد البحث لافتراضات نظرية من النظريات.

ومرة أخرى ينبغي تفادي التعميم، فلا يصح جمع الدراسات الوصفية في وعاء واحد بل تمييزها حسب نوعها؛ دراسات وصفية ثنائية المتغير (متغير مستقل ومتغير تابع) يمكن أن تعتمد على الفرضيات في تحديد العلاقة بين المتغيرين وطبيعتها، فهم الصلة بين المتغيرين وتفسير العلاقة السببية التي تجمعهما.. إلخ، ودراسات وصفية وحيدة المتغير، فهذا النوع الثاني على وجه الخصوص لا يبدو فيها استخدام الفروض مفيدا لعدم فعاليتها الإجرائية من جهة وتأثيرها السلبي في سيرورة البحث (تقييده) من جهة أخرى فضلا عن عدم الحاجة لنفي أو تأكيد الفرضيات وبعض الصعوبات أيضا التي قد تواجه مسار إثبات الفرضيات.

لكن الخلفية النظرية أو حتى النظرية لوحدها لا ينبغي ربطها بالفرضيات فحسب، فالنظرية والخلفية النظرية ككل تساعد الباحث في مختلف مراحل وإجراءات البحث من الإدراك المعرفي إلى البناء التصوري إلى الضبط المنهجي، فمن غير المناسب "تقزيم" دور الخلفية النظرية وربطه بالفرضيات فحسب. وقد سبق الإشارة إلى أن النظرية المجذرة التي ترتكز أساسا على التحليل النوعي تقترح -تجاوزا لعدد من الأسباب العملية- الانطلاق من الميدان لكنها لا تلغي العودة للخلفيات النظرية في تفسير النتائج وحتى في توجيه تساؤلات البحث.

وعليه فإن نوع الدراسة لا يبرر -وفق ما سبق- التخلي عن الخلفية النظرية في البحث العلمي لتنافي ذلك مع مبدأ تراكمية العلم من جهة ولما للعودة للخلفية النظرية من فائدة في التعامل مع بيانات البحوث واستخلاص النتائج ومناقشتها وتوسيع أفق الفهم والتنبؤ والتحكم، وهو ما يسعى له العلم (العبد الله، 2011، صفحة 44)، ففي كل الأحوال تؤدي الخلفية النظرية دورا مهما سواء بالنسبة للبحوث الكيفية (النوعية) أو الكمية.

أما بالنسبة لمسألة البحوث ذات الطبيعة التقنية كما توصف وعدم حاجتها للخلفية النظرية، فينبغي بداية تحديد ما هو تقني وما هو غير تقني أي ما يحتاج للخلفية النظرية وما لا يحتاجها وفق هذا المبرر. وعادة ما ينسب البعد التقني في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية -على الأقل حسب اطلاعنا- إلى بعض أنواع التحليل كتحويل الصور الثابتة والمتحركة والتحليل اللغوي، فتنفيذ تقنيات التحليل المعلومة عند الباحثين المتخصصين تلغي آليا الخلفية النظرية وفق زعم الطرح الذي يفصل بين البحوث التي تحتاج لخلفية نظرية من عدمه وفق المحدد التقني.

يبدو لي من الضروري بداية التذكير والتأكيد أن القيام بالملاحظة وتنفيذ التجارب واستخدام مختلف أدوات جمع البيانات قائم على إجراءات وخطوات تقنية محددة، بتعبير آخر البعد التقني موجود في كل البحوث العلمية مع تسجيل تفاوت في دقة التوظيف والتحديد. ووفق هذا الطرح لا يصح محدد الفصل التقني بين العلوم لعدم دقته، وإلا سقط الحكم في "فخ" اللامعيارية والأحكام العامة، فتقبل الخلفية النظرية في تحليل المحتوى وتستنكر في بعض أنواع التحليلي السميولوجي. أليس التحليل تحليلاً وبمرجعيات نظرية مختلفة فحسب؟ واعتماد شبكة تحليل الصورة الثابتة عند "مارتن جولي" مثلاً أليس خلفية نظرية وتعبير عن تصور نظري لعملية التحليل والتعامل مع الصورة. وحتى التقطيع الفيديوي والتقطيع التقني للموارد السمعية البصرية الذي يبدو للوهلة الأولى أنه عملية آلية ألا يعبر عن خلفية نظرية وفهم نظري لهذه المادة، إنه -بكل تأكيد- تعبير عن خلفية نظرية قابلة للاستفادة في البحث وأيضاً قابلة للنقاش النظري ولكن وخصوصاً قابلة للإثراء والنقد والتطوير من خلال النتائج التي تتوصل إليها البحوث، ف"البحث دون نظرية أعنى والنظرية دون بحث جوفاء" على حد تعبير "بيار بورديو" (Bourdieu & Loïc, 1992, p. 162). ومن المفروض هذه هي السيرورة التي تحكم البحث العلمي الذي ينطلق من التراكمية الموجودة لإحداث تراكم إضافي، وإلا ما الحاجة للبحث؟

3- عيوب النظرية ونقائصها مبرر "قوي" لترك اعتمادها

ومن المبررات والأسباب الموضوعية المهمة التي تدفع ببعض الباحثين إلى النزوع نحو التخلي عن استخدام الخلفية النظرية في البحث هو عدم خلو النظريات من العيوب والنقائص، فمجمّل النظريات وسيما الإنسانية والاجتماعية تعرضت للنقد وكشفت الأبحاث والمساهمات بعض جوانب قصورها.

وفي هذا الصدد لاحظنا أن فئة من الباحثين ينزحون إلى إغفال عيوب النظريات الموظفة معتبرين إبراز عيوب النظرية/ النظريات الموظفة في البحث منافياً لمقتضيات بحثهم ويؤثر سلباً عليه، في حين تكتفي فئة أخرى بذكر الانتقادات الموجهة للنظرية الموظفة في البحث باقتضاب عادة وكأن إبراز ومناقشة عيوب وسلبات النظرية "يضر" ببحثهم.

ويبدو من الضروري في هذا الصدد التأكيد على ضرورة التمييز بين النظرية والقانون، فالنظرية لم ترتق لمستوى القانون بل هي كما جاء في معجم اللغة العربية عبارة عن قضية تثبت صحتها بحجة ودليل أو برهان، وتعبير آخر هي عبارة عن مجموعة من الفروض و/أو المفاهيم المبنية على الحقائق والملاحظات والتي تحاول توضيح ظاهرة ما (معجم اللغة العربية المعاصرة، 2022).

ولعله من المهم التشديد على ما ورد في تعريف هذا المعجم، فالنظرية هي مجموعة من الافتراضات والافتراض هو حل واقترح مؤقت. أيضاً النظرية مجموعة من المفاهيم المبنية على الحقائق والملاحظات، والمفاهيم والحقائق والملاحظات هي تعبير لغوي قد تقترب إلى ما يصفه "غوتلوب فرايجه" إلى "اللغة الناقصة" أي اللغة العادية والطبيعية التي تفتقر للدقة الكافية، فكمال اللغة عنده يتجلى في الرياضيات والمنطق لا في التوصيفات المختلفة التي قد تفتقر للدقة المنشودة (بن سلمي، 2022، صفحة 75). ومن المهم الإشارة إلى أهمية هذا الطرح والأفكار التي أسست لما يسمى بـ"المنعرج اللساني" الذي سمح بالانتقال من "فلسفة الوعي" إلى "فلسفة اللغة" والتي أفرزت لاحقاً العديد من النظريات على غرار نظريتي أفعال الكلام (جون أستيبن) والعقلانية التواصلية (جورجن هابرمس). أيضاً يختتم تعريف النظرية وفق ذات المعجم باعتبارها محاولة لتوضيح ظاهرة، فالنظرية في المحصلة هي محاولة جادة.

في علوم الإعلام والاتصال مثلاً، توجد عشرات النظريات التي تحاول تفسير تأثير وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية وكل نظرية تقوم على مجموعة من الافتراضات والمفاهيم بعضها متكامل وبعضها متعارض كنظريات التأثير القوي وضدها نظريات التأثير الضعيف والمحدود.

وعليه، مرة أخرى، يبدو من المنطقي أن تكتنف مجمل النظريات جزء من القصور وأن يطالها النقد ما لم ترتق لمستوى القانون، وهو ما تتوافق عليه مختلف التعريفات والتوصيفات المعجمية والنظرية، فتعريف معجم اللغة العربية للنظرية (الوارد ذكره) يتقاطع مع ما أورده معجم "قاموس" الذي عرف النظرية على أنها مجموعة متماسكة من الافتراضات العامة المختبرة، والتي يُنظر إليها عمومًا على أنها صحيحة، وهي أيضا تفسير مقترح لا يزال وضعه تخمينيًا وخاضعًا للتجريب (Dictionary.com, 2022). ونفس الأمر نجده في القاموس الفرنسي "Le petit Robert" الذي اعتبرها مجموع منظم من الأفكار والمفاهيم المجردة المطبقة في ميدان محدد، وأيضا اعتبرها نظام مكون من الفرضيات والمعارف المتحقق منها والقواعد المنطقية (Le Robert en ligne, 2022).

إن اعتبار القصور الموجود في النظريات سببا لعدم الاعتماد عليها يعبر عن "خلل ابيستيمولوجي" خصوصا وأن مفهوم "القطيعة الابيستيمولوجية" غير وارد في مجمل الأبحاث، فمجمل الأبحاث تندرج ضمن العلم العادي أي المؤلف والمتكرر على حد وصف "كوهن" وليست علما ثوريا (العبد الله، 2011، صفحة 33) يحتاج لقطيعة مع ما سبق. لذلك يبدو أن هذا المبرر مردود عليه، فلكل النظريات جوانب قصور ومع ذلك تظل الحاجة قائمة للاستفادة ليس من نقاط قوتها فحسب بل وحتى من جوانب قصورها بغرض تحسين الأداء البحثي، لذلك فإن بيان جوانب القصور في النظرية مهم في البحث ويمكن الاستفادة منه في العديد من مراحل البحث وسيما في مناقشة النتائج المتوصل إليها وحدودها، فالدقة العلمية ضرورية في فهم النتائج ومعرفة الكيفيات المناسبة للتعامل مع مخرجات البحث ككل.

4- النظرية "تكبل" الباحث وتحد من حريته

تعتبر الحرية العلمية شرطا ضروريا في البحث. ومن الجوانب المهمة في البحث حرية الباحث في القيام بتبني واعتماد خيارات منهجية ومعرفية يراها مناسبة. لذلك يرى البعض أن النظرية والخلفيات النظرية ككل تحدد من حرية الباحث، وهو ما يعزز الرأي الذي يميل إلى التخلي عن الخلفية النظرية في البحث وتبرير عدم الحاجة لها، فالخلفية النظرية هي بشكل ما تقييد للباحث والبحث، فباستخدام خلفية معينة يجد الباحث نفسه "متخدقا" في إطارها التصوري والمنهجي.

وفي هذا الصدد ينبغي في تقديرنا التفرقة بين تبني نظرية أو خلفية نظرية وبين الاعتماد على نظرية أو خلفية نظرية. ففي حالة التبني، فإن الباحث يقر بقبوله وتأييده لافتراضات النظرية وتصوراتها وفي حال الاعتماد فإن الباحث يستند ويستعين بالنظرية وافترضاتها لتشديد البحث وركائزه المعرفية والنظرية، وكلا الخيارين خاضعين لإرادة الباحث وحرته وتقديره. فالباحث هو الذي يختار الخلفية التي يرى أنها الأنسب لخدمة أهداف بحثه، وهو الذي يكيف توظيفها ومستويات اعتماد فرضيات مناقية لها مثلا، بمعنى أن الباحث في بحثه شريطة انسجام طرحه، فلا يمكن تبني نظرية واعتماد فرضيات مناقية لها مثلا، بمعنى أن الباحث يجب أن يكون منطقيا في توظيف خلفية نظرية معينة والتأسيس لأي توظيف قد يبدو مناقيا أو مُحورا لها.

إن الاستفادة من أحد الخلفيات النظرية المتاحة هو خيار للباحث يسمح له أن ينطلق من تراكم علمي حول موضوع بحثه لينزل به إلى التنفيذ الإجرائي، وبعد الانتهاء من بحثه الميداني أو التطبيقي يعود للنظرية ليناقش النتائج المتوصل إليها في ضوءها، وهو ما من شأنه إثراء، نقد، تعزيز، ترسيخ أو تنفيذ ما جاء في النظرية.

وعليه، إن مفهوم القيد في تقديرنا غير وارد طالما أن الباحث هو الفاعل الذي يتعامل بموضوعية مع متغيرات بحثه وفق ما تتطلبه الضوابط المنهجية والمقتضيات المعرفية، فالخلفية النظرية هي سند و"حقيبة" خلفية يعود إليها الباحث لتموين وإسناد بحثه مفاهيميا وإجرائيا.

١٧. جدوى استخدام الخلفية النظرية في البحوث العلمية: محاولة تلخيصية

يبدو من الضروري التأكيد على صفة التراكمية التي تعتبر حاسمة في البحث العلمي، فالبحث العلمي يسعى لتقديم الإضافة، وأي بحث لا يرجى منه تحقيق هذا المسعى لا طائل منه، فالغاية من البحث تقديم الجديد وتحقيق الفائدة التي تعد شرطاً وعاملاً أساسياً في اختيار المشكلة (غريب، 2010، صفحة 25) التي ينبغي أن تعالج فراغاً في التراث البحثي أو تسعى لإضافة معلومات لما هو موجود (محمود ر.، 2013، صفحة 57).

وعلى هذا الأساس يبدو ضرورياً العودة إلى الخلف للاطلاع على التراث العلمي وبلورة هواجس البحث وتساؤلاته، وينبغي في هذا الإطار التفريق بين الأسئلة البحثية الأولية، التي تمثل المرحلة الأولى في البحث وتعرف أيضاً بسؤال الانطلاق (سفاري، 2012، صفحة 11) وتساؤلات البحث التي تتبلور بعد البحث عن إجابات للأسئلة الأولية في الأدبيات العلمية المتاحة.

فمن الصعب بالتالي تصور بلورة إشكالية بحث تمتاز بالأصالة في غياب العودة للتراث العلمي حول السؤال المطروح، فتحديد النظريات أو المقاربات أو المداخل أو غيرها من الأطر التي عالجت السؤال يمثل خطوة ضرورية للمضي في البحث، فدون هذه الخلفية قد يقع الباحث في التكرار ولن يستفيد حتماً من التراكم العلمي لدرجة أنه قد يبدأ من أين بدأ من قبله، وفي ذلك تأثير سلبي على سرعة تقدم البحث، فضلاً عن تضيق الوقت والجهد والموارد.

إن الخلفية النظرية تتيح للبحث الاستفادة مما تم بلوغه من تراكم معرفي، فيستفيد بذلك مما تم انجازه من بحوث وما تبعها من تأصيل لاستخدام المصطلحات والمفاهيم، فضلاً عما تم صياغته من افتراضات، فتمثل للبحث والباحث خلفية معرفية تساعده ليس في الولوج لموضوع البحث فحسب بل وتساعده أيضاً في تصميم خطوات البحث والاستفادة من المنهجية المتبعة في البحث من البناء الإشكالي إلى توجيه وصياغة التساؤلات إلى اختيار الدراسات السابقة إلى اختيار المنهج والأدوات وحتى الاستفادة منها في إجراءات المعاينة وضبط مجتمع الدراسة.

وفي هذا الصدد، يبدو من المفيد الإشارة إلى عدد من الإشكاليات التي نقف عليها من خلال عمليات الإشراف ومناقشة أعمال الطلبة والتحكيم، بحيث يشتكي الباحثون في الكثير من الأحيان من غياب الدراسات السابقة فضلاً عن الصعوبات التي يواجهونها في تصميم البحث والقيام بعدد من الخيارات المنهجية. لكن في المقابل قد يخفى علينا أو لا ننتبه أو ننسى أن النظريات التي تعالج موضوع البحث قامت على دراسات وأبحاث سابقة. بمعنى آخر فإن أحد أوجه الاستفادة من الخلفية النظرية في البحث هو الاستفادة ليس من التصور والافتراضات النظرية فحسب بل أيضاً تحصيل دراسات سابقة والاستفادة من التصاميم المنهجية المعتمدة والنتائج المتوصل إليها، وهو ما من شأنه أن يسهل عملية البحث والإجابة على التساؤلات من جهة وينقل الأبحاث إلى مستويات أعلى وأعمق، فبدل استنزاف الجهد الأكبر في عملية التصميم الذاتي للبحث يتم الاستفادة من الجهود الجماعية والعمل على إثرائها وتعميقها، الأمر الذي يفترض أن ينعكس إيجاباً على تطور البحث والنظريات ويحدث الإضافة والتراكم المنشودين.

إن الخلفية النظرية من شأنها بذلك عقلنة وترشيد الجهود البحثية وتزويد الباحث والباحث بالعدة المفاهيمية والتصورية التي لا ينبغي أن يكون الباحث "حيساً" لها بل موظفاً وناقداً لها ولمخرجاتها، الأمر الذي يسهل البحث من جهة (لا ينطلق البحث من فراغ) ويزيد من مردوديته من جهة أخرى (الإجابة على أسئلة البحث وفي نفس الوقت إثراء النظرية).

إن الاستناد على الخلفية النظرية هو، وبالإضافة إلى ما سبق، أحد ركائز إكساب البحث الشرعية وتحصيل الإقرار والاعتراف العلمي، وهو أمر جد ضروري ومهم بالنسبة للباحثين في مختلف المستويات، فعلمية العلوم تقوم على تقييم انسجام البنية النظرية، إبراز المنطق النظري، المقارنة مع النظريات الأخرى ثم الاختبار الامبريقي (Juignet, 2015)، بمعنى آخر فإن الانطلاق من الخلفية النظرية والعودة إليها يبدو أساس تحصيل الاعتراف في المجتمع العلمي.

أخيراً، تساعد الخلفية النظرية في منح البحث هوية، فنفس الظاهرة قد تدرس من قبل عدة تخصصات وشعب والخلفيات المتبناة هي التي تضفي عليه هوية معينة تعبر عادة على خلفية تكوين الباحث وزاوية تعامله مع الموضوع محل البحث، فيأخذ البحث هوية سوسيولوجية أو اعلامية أو تربوية أو غيرها من الاختصاصات المختلفة التي تفيد في تعميق البحث والنظرة التخصصية ولا تستثني بكل تأكيد بلورة نظرة جامعة وأكثر شمولية.

7. خاتمة:

في الأخير، يمكن اعتبار هذا المقال محاولة للتفاعل مع عدد من الأسئلة والتساؤلات البحثية المتعلقة بموقع وأهمية الخلفية النظرية في البحوث العلمية سيما في ظل التطورات المعرفية والتكنولوجية المتلاحقة والتي أفرزت جملة من التغيرات في بيئة البحث وحركت مثل هذه التساؤلات حول الحاجة لاستخدام الخلفية النظرية والفائدة من العودة إليها والاستفادة منها في البحث.

وبالرغم من تعدد وتنوع مبررات الترك، حاول المقال تقديم عدد من الإجابات "الموضوعية" ومناقشتها والتي تصب في جوهرها على التأكيد على قيمتي التضامن والتكامل العلمي، فالبحث العلمي سلسلة ممتدة من الجهود والأعمال التي تستفيد من التراكمات البحثية المتاحة لتقديم الإضافات المنشودة وتحقيق التقدم العلمي والمعرفي المطلوب.

وتسمح الخلفية النظرية بتحقيق العديد من المزايا والفوائد للبحث والباحث، لذلك ينبغي تجاوز هذا الشك في توظيفها من عدمه إلى تحديد ومعرفة والتحكم في أفضل وأنجع الطرق للاستفادة منها في سبيل إحراز التقدم العلمي وتحسين سبل وآليات التعامل مع الإشكاليات البحثية لتقديم إجابات سريعة، مفيدة ومؤسسة بعيداً عن التفاعل السياقي المحدود الذي أبرز محدوديته.

وفي المقابل لا ينبغي إغفال بعض الصعوبات المرتبطة بالاستفادة من الخلفيات النظرية المتاحة وعدد من الاشكاليات البيداغوجية التي تحول دون بلوغ تحكم كاف في الخلفيات النظرية والأهم من ذلك هو الوصول إلى خلق وإبداع خلفيات وتصورات بديلة على غرار ما هو عليه الحال في المنطقة العربية التي "تهمل" من الفكر الغربي دون القدرة على "تبيئته" مع المقومات العربية أو القدرة على تقديم بديل فكري يؤسس لتصورات ومرجعيات فكرية تفرض نفسها، فدون الاستيعاب الكاف للخلفيات النظرية يصعب تصور تقديم بديل في مختلف التخصصات يلقي الاعتراف العلمي الدولي.

قائمة المراجع:

- سورة البقرة. (الآية 31). القرآن الكريم: الآية 31 من سورة البقرة. رواية ورش: القرآن الكريم.
- أ لارامي، و ب فالي. (2009). *البحث في الاتصال: عناصر منهجية. قسنطينة: مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة. جامعة منتوري قسنطينة.*
- أنسليم ستراس، و ر كوربن. (1999). *أساسيات البحث الكيفي: أساليب واجراءات النظرية المجردة.* (عبد الله بن الحسين خليفة، المترجمون) الرياض: مركز البحوث والدراسات الادارية.
- باسم محمود. (2018). *نحو علوم اجتماعية في السياق العربي: الحاجة للنظرية المجردة. مجلة عمران، 7 (26).*
- رجاء أبو علام محمود. (2013). *مناهج البحث الكمي والنوعي والمختلط. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.*
- عبد السمیع غریب غریب. (2010). *البحث العلمي الاجتماعي بين النظرية والامبريقية. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.*
- فواد زكريا. (1978). *التفكير العلمي. الكويت: عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب.*
- لحسن عبد الله باشيو، عدنان هاشم السمراي، و نزار البراوي. (2010). *البحث العلمي: مفاهيم، أساليب، تطبيقات. عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.*
- ماجد محمد الخياط. (2010). *أساسيات البحوث الكمية والنوعية في العلوم الاجتماعية. عمان: دار الراجحة للنشر والتوزيع.*
- مسعود بن سلمى. (2022). *الخلفية الفكرية لمساهمة جوتلوب فريجه في تأسيس الفلسفة التحليلية والنزعة المنطقية. مجلة دراسات انسانية واجتماعية (جامعة وهران 2)، 11 (2).*
- معجم اللغة العربية المعاصرة. (1 1، 2022). *نظرية. تاريخ الاسترداد 4 4، 2022، من <https://www.maaajim.com/dictionary> نظرية*
- معجم المعاني الجامع. (01 01، 2022). *تعريف ومعنى مدخل في معجم المعاني الجامع - تاريخ الزيارة: 11-30-2022. تاريخ الاسترداد 11 30، 2022، من معجم عربي- عربي: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-مدخل/ar>*
- معجم المعاني الجامع. (01 01، 2022). *تعريف ومعنى مقارنة. تاريخ الاسترداد 11 30، 2022، من معجم المعاني الجامع - معجم عربي- عربي: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar-مقارنة/>*
- مي العبد الله. (2011). *البحث في علوم الاعلام والاتصال: من الأطر النظرية للاشكالات البحثية. بيروت: دار النهضة العربية.*
- ميلود سفاري. (2012). *البحث الاجتماعي: ضوابط واحترافات. تأليف فضيل دليو، و علي غربي، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية. قسنطينة: مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة.*
- وجيه محجوب. (2016). *البحث العلمي ومناهجه. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.*
- Alex Mucchielli. (1995). *La notion de paradigme. Psychologie de la communication. Paris: Presses Universitaires de France.*
- Aristote. (2004). *Economiques (éd. 4). (J. Tricot, Trad.) Paris: Librairie philosophique H.Vrin.*
- Aristote. (1883). *Histoire des animaux (Vol. 1). (J. B. Saint-Himare, Trad.) Paris: Librairie Hachette.*
- Aristote. (1863). *Météorologie. (J. B. Saint-Himare, Trad.) Paris: Librairie philosophique De Ladbange.*
- Aristote. (1861). *Physique (Vol. 1). (J. B. Saint-Himare, Trad.) Paris: Librairie philosophique De Ladbange.*
- Aristote. (1958). *Poétique. (J. B. Saint-Himare, Trad.) Paris: Librairie philosophique De Ladbange.*
- Aristote. (2019). *Politique. (C. Million, Trad.) Paris: Hachette BNF.*
- Aristote. (2007). *Rhétorique (éd. Garnier Flammarion). (P. Chirion, Trad.) Paris: Flammarion.*

- Dictionary.com, .. (2022, 1 1). *Theory*. Retrieved 11 2, 2022, from <https://www.dictionary.com/browse/theory>
- Groen, C., Simmons, D. R., & McNair, L. D. (2017). *An introduction to grounded theory: Choosing and implementing an emergent method*. Ohio: ASEE Annual Conference & Exposition. Ohio, USA. June 24-28, 2017.
- Kuhn, T. S. (1962). *The structure of scientific revolutions*. CHICAGO: THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS.
- Le Robert en ligne, .. (2022, 1 1). *Définition théorie*. Consulté le 11 2, 2022, sur <https://dictionnaire.lerobert.com/definition/theorie>
- Noble, H., & Mitchell, G. (2016). What is grounded theory?. *Evidence-Based Nursing*, 2 (19).
- Juignet, P. (2015, 5 6). *Karl Popper et les critères de la scientificité*. Consulté le 11 23, 2022, sur <https://philosciences.com/philosophie-et-societe/112-karl-popper-et-les-criteres-de-la-scientificite>
- Pierre Bourdieu و Wacquant Loïc (1992) *An Invitation to Reflexive Sociology*. Cambridge : Polity Press.
- Thomas Samuel KUHN (1972) *La Structure des révolutions scientifiques*. Paris: Flammarion.
- Willett, G. (1996). Paradigme, théorie, modèle, schéma : qu'est-ce donc ?. *Communication et organisation* (10).